



الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وعلى صحبه ومن والاه وبعد:
رسالة تذكير وعذاء ومواساة وبشرى

إلى كل من أخرج من بيته ، وترك ماله وعقاره، ولم يحمل معه إلا ما يواري عورته، ولم يحمل إلا ما قل وزنه وغلا ثمنه...
وإلى من ترك أحبته وفارق خلانه، فقد فلذة كبده وثمرة فؤاده، وفُجع بموت أقربائه ومحبيه، ودُمر وهدم بالصورايخ
والبراميل المتفجرة منزله... .

إلى من أرغمهته وأجبرته يد الغدر وجلاوزة الطاغوت على مفارقة وطنه الذي ألغى وأحبه ونشأ وترعرع فيه...
إلى من خرج من بلده وهو خائف يتربّى، يخشى أن تطاله رصاصة قناص أو برميل مليء بالمتفجرات أو أن يطأ لغما
مزروعا ، يمشي مرعوبا على أمل الخلاص من الظلم وأهله إلى عالم مجهول لا يعلم فيه مصيره ...
وإلى من تركوا ديارهم وأوطانهم فسراً وخوفاً، تركوها وغادروا إلى بلد صاروا فيه غرباء، وصار الغني فقيرا، والعزيز ذليلا،
والشريف وضيئاً.....

إلى الأخ الحبيب الذي لم يجد إلا قطعة قماش تؤويه، وتستر عورته، لا تكفيه من مطر ولا تحمي من حر، وકأن الأرض فراشه
والسماء لحافه، فحاصر البرد والريح والثلج والماء خيمته من فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله ، وحلوا ضيوفاً ثقلاً
عليه لا يفارقوه.....

إلى من لا يجد في غربته لقمة العيش لتقيم صلبه وتكسر سورة جوعه، وتكفف دموع أولاده الجوعى....
إلى هؤلاء المكلومين، الذين تفطرت أفئدتهم حزناً على فراق الديار والأوطان، وأخرجوا من ديارهم في زمان يُنادى فيه بحقوق
الإنسان، يتمون الرجوع إلى بلدانهم ولو بذلوا المهج وأغلى الأثمان... .

إلى هؤلاء جمِيعاً أوجه رسالتِي من القلب مستشيراً معاناتهم، متألماً لمصابهم، مذكراً لهم بأمور لعلها تخفف من آلامهم
ومبشرًا لهم ببشارات تبعث الأمل في نفوسهم:
أولاً : أعلم أخي الحبيب:

يا من أبتليت بترك الوطن والأحبة والمألف والمرغوب، وسكنت في منزل لم تألفه، وخيمة لا تُكِن بربا ولا تدفع حراً، وجاورت جيراناً لم تعرفهم من قبل تختلف معهم في بعض العادات وتتفق معهم في الغاية والهدف والألم والأمل والأمنيات، أعلم أنك لست الوحيد في هذا المضمار، بل قد أخرج من هو خير مني ومنك من ديارهم، وجابوا الصحاري والقفار، وأجبروا على تركها مع شدة حبهم لها، إنهم الرسل والأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام والصالحون من قبلنا، وقصصهم فيها عبرة وموعظة وتنذير وثبات وصبر وعزاء وأمل

فلا يزال الطواغيت والفراعنة والمتجبرون في كل زمان ومكان يتجررون ويمكررون ويخططون في إخراج من خالفهم من أوطانهم وتهجيرهم وترحيلهم، ليخلو ويحلو لهم الظلم والاستبداد، والقهر والذل للعباد.

والله سبحانه وتعالى قصّ علينا في كتابه قصصهم لتعتبر، وأخبرنا عن حال الطواغيت الكفرا مع رسليهم بعد مناقشتهم ودعوتهم للتوحيد وما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة فقال سبحانه وتعالى: { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا } [إبراهيم:13] فهؤلاء الكفرا بعد أن أعرضوا عن الهدي واستكروا زادوا الطين بلة فمنعوا الرسل من حقهم في العيش في بلادهم... وتوعدوهم بإخراجهم ونفيهم من أرضهم، إن لم يوافقوهم في الظلم والشرك وعبادة غير الله.

وقد فعلوا هذا مع كثير من الأنبياء والرسل ، فهذا خليل الله إبراهيم عليه السلام ترك وطنه وهجره أبوه أقرب الناس إليه كما قال تعالى:{قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِيْ يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيَا} مريم (46) وقد قال الملا الكفرا من قوم شعيب لشعب عليه السلام ولمن آمن به: { لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرِبَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا } [الأعراف: 88].

أرادوا إخراجهم لأنهم دعوهם لعبادة الله وتوحيده ، وترك ظلم الناس وأكل أموالهم بالباطل وترك الغش والتطفي في المكاييل والموازين، وهذا حال المفسدين في زماننا السارقين الناهبين لخيرات البلاد بالغش والتزوير والرشاوي، الذين ضجّ الخلق من ظلّهم واستبدادهم، فيطردون كل من نادى بالحقوق ونهى عن الظلم والفساد والعقوق، ليعيشوا على أكتاف الضعفة والمساكين.

وذلك فعل قوم لوط حيث قالوا لنبيهم عليه الصلاة والسلام : { أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرِبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ } [النمل: 56]

وفي سورة أخرى يذكر الله عنهم: { وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرِبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ } [الأعراف: 82]، بعدما أن {قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقُكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ} (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ} [الأعراف: 80 ، 81].

وهذا الحال في زماننا في سوريا كل من أمر بالطهر والعفاف يُطرد ويخرج، أما من أمر بالزنا والمعنة والفساد من أبناء الرفض والمجوس فهو المحبوب المقرب، والله المستعان، قلبت الموازين وصار الباطل حقاً والحق باطلًا في بلاد المسلمين.

وهذا موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام خرج من بلده ومسقط رأسه هاربًا من ظلم وبطش فرعون الطاغية المجرم الذي كان يقتل الأبناء الذكور ويستحي الإناث، فقص الله تعالى علينا قصته وحاله عند خروجه من وطنه فقال : {وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَأَخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ} (20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [القصص: 20 ، 21]

وهذا حبيبنا وسيدنا وقائدها للأبد محمد صلى الله عليه وسلم قد تشاور الكفار في أمره فخرجوا بعد خيارات وآراء فقال تعالى إخبارا عن مشركي قريش ومؤامرتهم: { وَإِنْ كَانُوا لَيَسْتَفْوِنُكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِنَّا لَا يَأْلِمُونَ خَلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا } [الإسراء: 76]، وقال تعالى: { وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُنْتِنُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَاَكِرِينَ } [الأنفال: 30].

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وهي أحب البلاد إليه كما ورد في الحديث أنه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة تلقاه الغار، نظر إلى مكة، قال: أنت أحب بِلَادِ اللَّهِ إِلَيَّ، ولو أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ لَمْ أَخْرُجْ مِنْكِ، فأَعْدَى الْأَعْدَاءِ مَنْ عَدَا عَلَى اللَّهِ فِي حَرَمَهِ، أَوْ قَتَلَ غَيْرَ قَاتِلِهِ، أَوْ قَتَلَ بِذِحْوَلِ الْجَاهِلِيَّةِ، قال: فَأَنْزَلَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { وَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتَكَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ أَهْلَكُنَاهُمْ } (1).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد علمت أن أحب البلاد إلى الله عز وجل مكة ولو لا أن قومي أخرجوني ما خرجت اللهم أجعل في قلوبنا من حب المدينة مثل ما جعلت في قلوبنا من حب مكة) وما أشرف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المدينة قط إلا عرف في وجهه البشر والفرح (2).

ولاقى في خروجه صلى الله عليه وسلم الأمور العظام، ومشي في الظلام، وسار في القفار والصحابي الموحشة أيام، ولو حرق من قبل الكفار منذ خروجه من بيته، ودفع لمن يظفر به مائة ناقة، ولحقه الكفار حتى كانوا منه قاب قوسين أو أدنى، وحماء الله وكان الله معه في الغار حافظا له ولصاحبه أبي بكر رضي الله عنه، ولحق صاحبه الحزن والأسى والخوف على حبيبه {ثاني اثنين إذهما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا} التوبة. وسار في خروجه قرابة تسعه أيام، ولم يتتوفر له ما يتتوفر في زماننا.

والحمد لله غالب المضطهددين السوريين النازحين يوما أو يومين ويصلون إلى مكان فيه أمان. وكان قبل ذلك حوصل المؤمنون في الشعب وقطعتهم قريش وبني هاشم جميعا فكانوا يأكلون أوراق الشجر، وأصابهم الجوع والعطش ونقص المؤنة ثلاثة سنوات، فصبروا على ما أصابهم.

وهكذا فعلوا بأصحابه فأخرج صاحبته الكرام عليهم من الله الرحمة والرضوان من مكة، وخرجوا فراراً بدينهم وخوفاً من ظلم وبطش الكفار من بني جلدتهم وأقاربهم، فمنهم من خرج قبله - صلى الله عليه وسلم - وهاجر إلى الحبشة ومنهم من هاجر إلى المدينة ومنهم من تبعهم بعد ذلك يقول تعالى: {أَذْنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} (39) **الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولو لا دفع الله الناس بعضمهم ببعض لهم صوامع وبئم وصلوات** ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولainصر الله من ينصره إن الله لغوي عزيز (40) **الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن الممنكر ولله عاقبة الأمور** (41) [الحج: 39 - 42]

وقال تعالى: {لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} [الحشر: 8 ، 9]

فما كان ذنبهم إلا أنهم وحدوا الله، وعبدوه مخلصين له الدين، فإن كان هذا ذنب، فهو ذنبهم قوله تعالى: { وَمَا نَمَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} البروج: 8.

"ولم يكن معنى الهجرة إلا إهدار المصالح، والتضحية بالأموال، والنجاة بالشخص فحسب، مع الإشعار بأنه مستباح منهوب قد يهلك في أوائل الطريق أو نهايتها، وبأنه يسير نحو مستقبل مبهم، لا يدرى ما يتمحض عنه من قلقل وأحزان.

وبدأ المسلمين يهاجرون وهو يعرفون كل ذلك، وأخذ المشركون يحولون بينهم وبين خروجهم؛ لما كانوا يحسون به من الخطر، وهكذا نماذج من ذلك:

1 - كان من أول المهاجرين أبو سلمة - هاجر قبل العقبة الكبرى بسنة على ما قاله ابن إسحاق - وزوجته وابنه، فلما أجمع على الخروج قال له أصهاره : هذه نفسك غابتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه ؟ علام نترك تسير بها في البلاد ؟ فأخذوا منه زوجته، وغضب آل أبي سلمة لرجلهم، فقالوا: لا نترك ابننا معها إذ نزعتموها من صاحبنا، وتجاذبوا الغلام بينهم فخلعوا يده، وذهبوا به. وانطلق أبو سلمة وحده إلى المدينة.

وكانت أم سلمة - رضي الله عنها - وبعد ذهاب زوجها وضياع ابنها تخرج كل غداة بالأبطح تبكي حتى تمسى، ومضى على ذلك نحو سنة، فرق لها أحد ذويها وقال: ألا تخرجون هذه المسكينة ؟

فرقتم بينها وبين زوجها ولدتها، فقالوا لها: إلهمي بزوجك إن شئت، فاسترجمت ابنها من عصبه، وخرجت تريد المدينة - رحلة تبلغ حوالي خمسمائة كيلو متر تمر بين شواهد الجبال ومهالك الأودية - وليس معها أحد من خلق الله.

حتى إذا كانت بالتلعيم لقيها عثمان بن طلحة بن أبي طلحة، وبعد أن عرف حالها شيعها حتى أقدمها إلى المدينة، فلما نظر إلى قباء، قال: زوجك في هذه القرية فادخليها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

2 - وهاجر صهيب بن سنان الرومي بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فلما أراد الهجرة قال له كفار قريش: أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثير مالك عندنا، وبلغت الذي بلغت، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ؟ والله لا يكون ذلك.

فقال لهم صهيب: أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟

قالوا: نعم، قال: فإني قد جعلت لكم مالي، فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: (رب صهيب، رب صهيب).

3 - وتواعد عمر بن الخطاب، وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص بن وائل موضعًا اسمه التناضب فوق سرف يصبحون عنده، ثم يهاجرون إلى المدينة، فاجتمع عمر وعياش، وحبس عنهم هشام.

ولما قدموا المدينة ونزلوا بقباء قدم أبو جهل وأخوه الحارث إلى عياش - وأم الثلاثة واحدة، وهي أسماء بنت محرقة - ف قالا له : إن أمك قد نذرت ألا يمس رأسها مشط، ولا تستظل بشمس حتى تراك، فرق لها. فقال له عمر : يا عياش، إنه والله إن يريديك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو آذى أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظللت، فأبى عياش إلا الخروج معهما لغير قسم أمه، فقال له عمر : أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب فانج عليها.

فخرج عليها معهما، حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: يابن أمي، والله لقد استغلاشت بعييري هذا، أفلأ تعقبني على ناقتك هذه ؟

قال: بلى، فأناخ وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه وربطاه، ثم دخلوا به مكة نهاراً موثقاً، وقالا : يا أهل مكة، هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفهينا هذا.

هذه ثلاثة نماذج لما كان المشركون يفعلونه بمن يريد الهجرة إذا علموا ذلك . ولكن على رغم ذلك خرج الناس أرسلاً يتبع بعضهم بعضاً .

ولا يزال العلماء والصالحون يضطهدون وينفون ويرغمون على الخروج من بلادهم قسراً وقهرأ كأمثال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله وغيره.

فهذه سبيل الرسل والأنبياء والصالحين وأحوالهم، أخرجوا ونفوا وأضطهدوا و تعرضوا للضرب وأصابهم الجوع والخوف في خروجهم، فصبروا لما أصابهم ابتلاء مرضات الله فأعقبهم نصراً مبيناً.

فيما أخى إن أصابك الضرب والبلاء والاضطهاد والنفي والطرد والأبعاد عن وطنك وبيتك فاعتبر بأشرف الناس ، وتعزى بهم ، وتذكّر مصابهم يخف عنك مصابك ويسهل ما نزل بك.

ثانياً: البشرى، أبشر أخي الحبيب بالنصر والفرج والظفر القريب والرجوع إلى الوطن مكرماً معززاً إن أنت اتقىت الله

ونصرت دينه، فأقمت الشرع في نفسك وأهلك ونويت إقامة السنة وقمع البدعة في وطنك، فهاهم الأنبياء الذين توعدهم قومهم بإخراجهم من أرضهم يوحى إليهم ربهم بأنه سينصرهم على عدوهم ويهلك عدوهم، ويتوعد العدو بسوء العاقبة في الدنيا والآخرة، ويورث الأنبياء أرضهم، التي طالما هددوهم بإخراجهم منها فيقول تعالى : {فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لِنُهَلِّكَنَّ الظَّالِمِينَ} (13) وَلَتُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدٍ (14) وَاسْتَفْتَهُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَارٍ عَنِيدٍ (15) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءِ صَدِيدٍ (16) يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكُادُ يُسْيِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ عَلَيْهِ (17) } [إبراهيم : 13 - 18]

وهذا إبراهيم عليه السلام لما فارق الكفر وأهله واعتزلهم والهتهم ، وله الله الولد بعد أن لم يكن ينجي، ونصره على من عاداه، وعوضه خيراً مما تركه وفارقه، "قال الله في حقه: {فَلَمَّا اعْتَزَلُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهُبَّنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلُّا} من إسحاق ويعقوب {جَعَلَنَا نَبِيًّا} فحصل له هبة هؤلاء الصالحين المرسلين إلى الناس، الذين خصمهم الله بوعيه، واختارهم لرسالتهم، واصطفاهم من العالمين. {وَهُبَّنَا لَهُمْ} أي: لإبراهيم وابنيه {مِنْ رَحْمَتِنَا} وهذا يشمل جميع ما وهب الله لهم من الرحمة، من العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والذرية الكثيرة المنتشرة، الذين قد كثروا فيهم الأنبياء والصالحون. {وَجَعَلَنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدِيقٍ عَلَيْهِ} وهذا أيضاً من الرحمة التي وهبها لهم، لأن الله وعد كل محسن، أن ينشر له ثناء صادقاً بحسب إحسانه، وهؤلاء من أئمة المحسنين، فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالي غير الخفي، فذكرهم ملأ الخافقين، والثناء عليهم ومحبتهم، امتلأت بها القلوب، وفاضت بها الألسنة، فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين.. ولا تزال أذكارهم في سائر العصور، متتجدة، وذلك فضل الله يؤتى به من يشاء، والله ذو الفضل العظيم".

وشعيب عليه السلام أعزه الله ونصره على عدوه وأهلكهم فقال تعالى مخبراً عما أصابهم: {فَأَخَذْتُهُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِينَ} (91) الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبِيًّا كَانُ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبِيًّا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف : 90 - 92] ولوطأ عليه السلام كذلك أنجاه الله تعالى وأهلك عدوه : {فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} (83) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} (84) } [الأعراف : 83 - 85]

وموسى عليه السلام لما خرج من بلده أمه الله بمدد من عنده فهياً له من يوؤيه ويطعمه ويسقيه ويسكن إليه وينأس به، وأمنه بعد خوفه فقال تعالى بعد أن حكى قصة خروجه وتضرره ومساعدته للمرأتين في سقي أغناهما: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجُوتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} (25) [القصص : 25]

ثم رزقه الله زوجة صالحة ابنة الرجل الصالح {إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين...} الآية

وهكذا أخي النازح لا تدخل بمساعدة الناس وإغاثتهم قدر طاقتك، أثناء نزوحك فالله يوفيك في مسيرك وبهيء لك من يعينك في مسكنك ومطعمك ومشربك وملبسك ويوؤيك ويوئنسك.

وثم ماذا ؟ ماذا حصل لنبي الله موسى عليه السلام؟

لقد رجع إلى أهله بعد غياب عشر سنوات مؤيداً بالبيانات فأهلك عدوه فرعون وملأه ، ونصره الله عليهم فأهلكهم باليه، وأورث الله المستضعفين من آمن بموسى عليه السلام الأرض فقال تعالى مخبراً عن مصير القوم : {فَانْتَقَمَنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ} (136) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَنَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} (137) [الأعراف : 136 ، 137]

ورسولنا صلى الله عليه وسلم رجع إلى موطنه مكة الذي أخرج منه - بعد أن بقي سنوات بعيداً عنه- منتصراً فاتحاً له

مُرْفَعُ الرَّأْسِ عَزِيزًا ، وَوَقَفَ عَلَى الصَّفَا وَحَمَدَ اللَّهَ الَّذِي أَعْزَ جَنْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ...

فَكَانَ مِنْ صَنْعِهِ تَعَالَى: أَنَّهُ أَظْهَرَ رَسُولَهُ وَنَصْرَهُ، وَجَعَلَ لَهُ بِسْبَبِ خَرْجَهُ مِنْ مَكَةَ أَنْصَارًا وَأَعْوَاتًا وَجَنْدًا، يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَمْ يَزِلْ يَرْقِيَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، حَتَّى فَتَحَ لَهُ مَكَةَ الَّتِي أَخْرَجَهُ، وَمَكَنَ لَهُ فِيهَا، وَأَرْغَمَ آنَافَ أَعْدَائِهِ مِنْهُمْ، وَمِنْ سَائِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ، حَتَّى دَخَلَ النَّاسَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَظَهَرَتْ كَلْمَةُ اللَّهِ وَدِينُهُ عَلَى سَائِرِ الْأَدِيَانِ، فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فِي أَيْسَرِ زَمَانٍ؛ وَلَهُذَا قَالَ تَعَالَى: {فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهَلَّكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ} كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتَنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمُنْصُرُونَ وَإِنَّ جُنَاحَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات: 171 – 173]، وَقَالَ تَعَالَى: {كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلَبِنَا أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: 21]، وَقَالَ: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ} [الأنبياء: 105] () .

وَهَذَا الصَّحَابَةُ الْكَرَامُ وَالصَّالِحُونُ نَصْرُهُمُ اللَّهُ عَلَى عَدُوِّهِمْ...

وَبِإِذْنِ اللَّهِ سَتَرْجِعُ إِلَى بَلْدَكَ وَوَطْنَكَ أَخِي مَنْصُورًا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَانْصُرْ دِينَكَ... وَامْتَثِلْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} إِبْرَاهِيمَ (14) فَخَفَ اللَّهُ وَرَاقِبُهُ وَامْتَثِلْ أَوْامِرَهِ...

وَحَقُّ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَانُهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَةَ وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41) [الحج : 39 – 42] الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي سِيَاقِ آيَاتِ الَّذِينَ أُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ. فَانْصُرَ اللَّهُ يَنْصُرُكَ، انْصُرْهُ فِي تَطْبِيقِ شَرِيعَتِهِ، يَنْصُرُكَ عَلَى عَدُوكَ وَيُمْكِنُ لَكَ فِي الْأَرْضِ.

ثَالِثًا: أَخِي الْكَرِيمُ أَكْثَرُ مِنَ الدُّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ وَالْاسْتِغْفَارِ حَالٌ نَزُوكٌ وَخَرْوْجٌ وَحَالٌ حَلْكٌ وَتَرْحَالٌ وَتَبَاتٌ وَقَرَارٌ وَالتَّجَئُ إِلَى اللَّهِ وَتَضَرُّعُ إِلَيْهِ وَاعْلَمُ أَنَّ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الظَّاهِرَةُ فِي إِنْتَزَالِ الْبَلَاءِ أَنْ يَتَضَرُّعَ إِلَيْهِ الْعِبَادُ وَيَلْجُؤُوا إِلَيْهِ كَمَا قَالَ: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَّةٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبُلَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَانٍ تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَطْنَا قُلُوبَهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأنعام: 42، 43] وَقَالَ فِي آيَةِ أُخْرَى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ} [الْمُؤْمِنُونَ: 76]

فَصَارَ لِزَاماً أَنْ يَعْلَمَ الْمُسْلِمُ أَنَّ أَوْجَبَ الْوَاجِبَاتِ فِي زَمَنِ الْكَوَافِرِ وَالْمُلْمَاتِ، رَفَعَ الْيَدِينَ بِالْدُعَاءِ لِلَّهِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، الَّذِي يَجِبُ دُعَوَةُ الْمُضْطَرِ إِذَا دُعَا، وَيَكْشِفُ كُرْبَةَ الْمُكْرُوبِ إِذَا نَاجَاهُ، وَيَزِيلُ الْفَمَ وَيَذْهَبُ الْفَمُ، وَيَحِبُّ الْعَبْدَ الْأَوَّاهَ الْمُنِيبِ إِلَيْهِ وَكُلَّ مِنْ دُعَا، فَلَعِلَّ ذَلِكَ الدُّعَاءُ مِنْ أَكْفَ بَيْضَاءِ نَقِيَّةٍ، وَقُلُوبَ صَادِقَةٍ وَفَيَّةٍ، وَأَعْيُنَ بَاكِيَةٍ تَقِيَّةٍ تَخَفُّفُ مِنَ الْمَآسِيِّ وَالْأَلَامِ، وَقَدْ عَلِمْنَا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ لَا يَرِدُ الْقَضَاءُ إِلَّا الدُّعَاءُ () .

وَهَذَا حَالُ الْأَنْبِيَاءِ لَمَا خَرَجُوا مِنْ بَلَادِهِمْ فَهُدَا إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا} مَرِيم (48)

وَهَذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَدْعُو رَبِّهِ أَنْ يَنْجِيَهُ مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِينَ حَالٌ خَرْوْجٌ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَكَّبُ قَالَ رَبِّنَا حَنِينِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] [القصص : 20 ، 21]

وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُ: {وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدِينَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ} (22) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَ وَجَدَ عَلَيْهِ أَمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتِينَ تَنْدُوَنَ قَالَ مَا خَطُبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبْوَانَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (23) فَسَقَى لَهُمَا ثَمَ تَوَلَّ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (24) 22 – 26]

فَدَعَا رَبِّهِ أَنْ يَهْدِيهِ طَرِيقًا سُوِيَا ، وَلَا يَضُلُّ فِي الصَّحَارِيِّ وَالْقَفَارِ، وَدَعَا اللَّهَ بِحَالِهِ أَنْ فَقِيرٌ ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ أَنْ يَرْزُقَهُ ، فَاسْتَجَابَ لَهُ دُعَاهُ كُلِّهِ، فَرَزَقَهُ أَهْلًا وَمَالًا وَمَسْكَنًا وَمَأْوَى.

وَمَا أَحْوَجَ النَّازِحُونَ أَنْ يَمْتَثِلُوا وَيَهْتَدُوا بِهِدِيهِ فَيُجَارُوا إِلَى رَبِّهِمْ، وَيَدْعُوهُ ، وَيَكْثُرُوا مِنْ قَوْلِ: رَبِّي إِنِّي لَمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ

فغير) وقول: يا رزاق ياذا القوة المتين ارزقنا، يكثروا من الدعاء ليلاً ونهاراً في سجودهم وخلواتهم وأوقات الإجابة فربنا قريب مجيب دعوة الداعي، والقصص كثيرة من النازحين المضطربين دعوا الله فهداهم في ظلمات الليل الحالكة أثناء نزولهم وسيرهم، ورزقهم وأطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

كما أوصيك بالتوبية والإتابة لله، فما نزل ذنب إلا بمعصية ومارفع إلا بتوبة، فتب إلى الله توبه نصوها، وغير ما بنفسك وأصلحها وزكها بالعمل الصالح لعل الله يغير الحال ويحسن المال.

رابعاً: **عليك بالصبر وعدم الجزع على ما أصابك** من فقد حبيب وترك وطن وخسارة منزل ومال وإياك والتسخط على أقدار الله، وعليك بالإكثار من قول : إننا لله وإننا إليه راجعون كما قال تعالى: {وَلَنَبْلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَيَشِّرِّ الصَّابِرِينَ} (155) الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إننا لله وإننا إليه راجعون (156) أولئك عليهم صَلَواتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهَتَّدُونَ (157) [البقرة : 155 - 157]

فهنا "أُخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَبْتَلِي عَبَادَهُ بِالْمَحْنِ، لِيَتَبَيَّنَ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، وَالْجَازِعُ مِنَ الصَّابِرِ، وَهَذِهِ سُنْتُهُ تَعَالَى فِي عَبَادَهِ؛ لِأَنَّ السَّرَّاءَ لَوْ اسْتَمْرَتْ لِأَهْلِ الإِيمَانِ، وَلَمْ يَحْصُلْ مَعَهَا مَحْنَةٌ، لَحَصْلُ الْاِخْتِلَاطِ الَّذِي هُوَ فَسَادٌ، وَحِكْمَةُ اللَّهِ تَقْتَضِي تَمْيِيزَ أَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ أَهْلِ الشَّرِّ.

هذه فائدة المحن، لا أزال ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين، فأُخْبَرَ في هذه الآية أنه سببتي عباده {بِشَيْءٍ مِّنَ الْخُوفِ} من الأعداء {وَالْجُوعِ}

أي: بشيء يسير منها؛ لأنَّه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع، لهلكوا، والمحن تمتص لا تهلك.

{وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ} وهذا يشمل جميع النقص المعترى للأموال من جوائح سماوية، وغرق، وضياع، وأخذ الظلمة للأموال من الملوك الظلمة، وقطع الطريق وغير ذلك.

{وَالْأَنْفُسِ} أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه، {وَالثَّمَرَاتِ} أي: الحبوب، وثمار النخيل، والأشجار كلها، والخضر ببرد، أو حرق، أو آفة سماوية، من جراث ونحوه.

فهذه الأمور، لا بد أن تقع، لأنَّ العليم الخبير، أُخْبَرَ بها، فوَقَعَتْ كَمَا أُخْبَرَ، فَإِذَا وَقَعَتْ انْقُسْمَةُ النَّاسِ قَسْمَيْنِ: جازعين وصابرين، فالجائع، حصلت له المصيَّبات، فوات المحبوب، وهو وجود هذه المصيبة، وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر، ففاز بالخسارة والحرمان، ونقص ما معه من الإيمان، وفاته الصبر والرضا والشكران، وحصل له السخط الدال على شدة النقصان.

وأما من وفَقَهُ اللَّهُ لِلصَّبَرِ عِنْدَ وُجُودِ هَذِهِ الْمَصَائِبِ، فَحُبِسَ نَفْسُهُ عَنِ التَّسْخُطِ، قَوْلًا وَفَعْلًا وَاحْتَسَبَ أَجْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَعْلَمَ أَنَّ مَا يَدْرِكُهُ مِنَ الْأَجْرِ بَصِيرَهُ أَعْظَمُ مِنَ الْمَصِيبَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ، بَلِ الْمَصِيبَةُ تَكُونُ نَعْمَةً فِي حَقِّهِ، لِأَنَّهَا صَارَتْ طَرِيقًا لِحَصُولِ مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْفَعٌ مِنْهَا، فَقَدْ امْتَنَّ أَمْرَ اللَّهِ، وَفَازَ بِالثَّوَابِ، فَلَهُذَا قَالَ تَعَالَى: {وَيَشِّرِّ الصَّابِرِينَ} أي: بشرهم بأنَّهم يوفون أجرهم بغير حساب.

فالصابرين، هم الذين فازوا بال بشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ} وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره.

{قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ} أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين، بِمَمْالِيْكِهِ وَأَمْوَالِهِمْ، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد، علمه، بأنَّ وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي أرحم بعده من نفسه، فيوجب له ذلك، الرضا عن الله، والشكر له على تببيره، لما هو خير لعده، وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا مملوكون لله، فإننا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وجدنا أجرنا موفوراً عنده، وإن جزعنا وسخطنا، لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله، وراجع إليه، من أقوى

أسباب الصبر.

{أولئك} الموصوفون بالصبر المذكور {عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ} أي: ثناء وتنويه بحالهم {وَرَحْمَةً} عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وففهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر، {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع، علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله.

ودللت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال والخسار، فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين، فقد اشتملت هاتان الآياتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتفه وتسهل، إذا وقعت، وبيان ما تقابل به، إذا وقعت، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، ويعلم حال غير الصابر، بضد حال الصابر.

وأن هذا الابلاء والامتحان، سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تبديلاً وبيان أنواع المصائب." ()

وتنذكر أخى الكريم حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من قال عند المصيبة: ({إنا لله وإنا إليه راجعون} اللهم أجرني في مصيبي و اخلف لي خيرا منها) إلا آجره الله و أخلف له خيرا منها قالت فلما توفي أبو سلمة قالت : من خير من أبي سلمة ؟ ثم قلتها فأخلفني الله رسول الله صلى الله عليه وسلم [رواه مسلم ،

فأكثر من هذا الذكر أخي الحبيب ({إنا لله وإنا إليه راجعون} اللهم أجرني في مصيبي و اخلف لي خيرا منها) لعل الله بمنه وكرمه يُخلفك ويعوضك خيراً مما فقدت.

واحمد الله على ما أصابك من مصيبة وأنها لم تكن أكبر من ذلك، فإن كنت قد فقدت منزلًا فقد فقد الناس منازل، وإن كنت فقدت ولداً ، فقد فقد غيرك أولاداً، وإن فقدت بعض المال فقد فقد غيرك المال كله، وإن فقدت عضواً من أعضائك فقد فقد الناس أرواحهم وأنفسهم كلها ، واحمد الله أنك نجوت بدينك ولم تكن مبتدعاً رافضياً تسب الصحابة الكرام وتطعن بالقرآن

...

وتتأمل ما ذكر الشعبي أن شريحا (رحمهما الله جميعا) قال : إني لأصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات : أحمسه إذا لم يكن أعظم منها وأحمده إذ رزقني الصبر عليها وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من التواب وأحمده إذ لم يجعلها في ديني .

و عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : نعم العدلان و نعم العلامة {أولئك عليهم صلوات من ربهم و رحمة } نعم العدلان {وأولئك هم المهتدون } نعم العلامة .

و أما إذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور أو لطم خداً أو شق جيماً أو نشر شعراً أو حلقةً أو قطعه أو نتفه فله السخط من الله تعالى و عليه اللعنة رجالاً كان أو امرأة

و قد روی أيضاً أن الضرب على الفخذ عند المصيبة يحيط الأجر وقد روی أن من أصابته مصيبة فخرق عليها ثوباً أو لطم خداً أو شق جيماً أو نتف شعراً فكانما رمحه يريد أن يحارب ربه .. والله عز و جل لا يعذب بكاء العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا . يعني ما يقول صاحب المصيبة بسانه يعني من الندب والنياحة.... فالنواح حرام لأنها مهيج للحزن و دافع عن الصبر و فيه مخالفة التسليم للقضاء والإذعان لأمر الله تعالى ()

وإذا ابتليت أخي الحبيب بفقد ولدك فتنذكر حديث أبي سنان قال: دفنت ابني سنانا و أبو طلحة الخولاني جالس على شفير القبر فلما أردت الخروج أخذ بيدي فقال ألا أبشرك يا أبي سنان ! قلت بلى فقال حدثني الضحاك بن عبد الرحمن بن عزب عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا مات ولد العبد قال الله لملائكته قبضتم ولد عبدي ! فيقولون نعم فيقول قبضتم ثمرة فؤاده ! فيقولون نعم فيقول ماذا قال عبدي ؟ فيقولون حمدك واستجرب فيقول الله ابنا

خامساً: أخي الحبيب يا من تسكن في المخيمات أو في بلد غير بلدك وقد تركت عملك وأشغالك ، وصار عنك فراغ كبير وقت وفير، استغل وقتك في طاعة الله وعبادته فأكثر من الصالحات من قراءة القرآن وحفظه والالتحاق بحلق تحفيظ القرآن المتواجدة في تلك المخيمات والتي أقام بعضها الإخوة في هيئة الشام الإسلامية بارك الله في جهودهم، فإنها فرصة ثمينة لا تعوض، فإني أعرف بعض الإخوة استغلوا هذه الأيام لحفظ كتاب الله ومراجعته وتلاوته وفهمه ، وامتلوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال لرجل وهو يعظه : «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فرقك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك» .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي - صلى الله عليه و سلم - (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)

وعن محمد بن واسع قال: كتب أبو الدرداء إلى سلمان أما بعد يا أخي اغتنم صحتك و فراغك من قبل أن ينزل بك من البلاء ما لا يستطيع أحد من الناس رده يا أخي اغتنم دعوة المؤمن المبتدئ و يا أخي ليكن المسجد بيتك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول:

المسجد بيت كل تقي و قد ضمن الله لمن كانت المساجد بيوبتهم بالروح و الراحة و الجواز على الصراط إلى رضوان الرب. و يا أخي أدن اليتيم منك وامسح برأسه واطعمه من طعامك فإن ذلك يلين قلبك و تدرك حاجتك و يا أخي إياك أن تجمع من الدنيا ما لا يؤدي شكره .

وهذا شيخ الإسلام يجعل ما ابتدى به من سجن ونفي نعمة ويستغل وقته في طاعة الرحمن فيقول: (ما يفعل أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أنى رحت فهي معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلني شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة، إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة إنها جنة الإيمان واليقين) .

ثم يمرض فيثبت ثبات المؤمن في أوقات الشدائـد، دخلوا عليه وهو مريض وما اشتكي، فيقولون له: ماذـا تشتـكي يا إمام؟ قال:

تموت النفوس بأوصابها *** ولم يدرِ عوادها ما بها
وما أنصف مهجة تشتكـي *** أذاها إلى غير أحبابها

ثم يختـم المصحف في السجن بـضع وثمانين مـرة، حتى إذا بلـغ قول الله - جـل وعلـا - : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فـي جـنـاتٍ وَنـهـرٍ * فـي مـقـدـعـِ صـدـقـِ عـنـدـ مـلـيـكـ مـقـدـنـدـِ) .

لقي الله فرحمـه الله، وجمـعـنا به وبالصالـحين من أـمـةـ محمدـ بنـ عبدـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، ويـقـولـ ابنـ تـيمـيـةـ - رـحـمـهـ اللهـ - : "الـمحـبـوـسـ منـ حـبـسـ عـنـ رـبـهـ، وـالـمـأـسـوـرـ منـ أـسـرـ هـوـاـ" .

فـأـنـتـ ياـ إـخـوـانـيـ رـغـمـ التـهـجـيرـ وـالـطـرـدـ وـالـنـزـوحـ أـحـرـارـ لـأـنـكـ مـوـصـولـونـ بـالـلـهـ، أـنـتـمـ الـذـيـنـ لـمـ يـوـهـنـ عـزـائـمـهـمـ ظـلـمـ الـظـالـمـينـ، فـكـنـتـمـ رـجـالـاـ فـيـ زـمـنـ قـلـ فـيـهـ الرـجـالـ، فـإـنـ ضـاقـ عـلـيـكـ يـاـ أـخـيـ جـدـرـانـ الـخـيـمـةـ، فـفـيـ صـدـرـكـ فـسـحـةـ وـاسـعـةـ مـنـ أـرـضـ هـذـاـ الـوـطـنـ الـجـمـيلـ تـجـوـبـ بـهـ رـوـحـكـ الـمـؤـمـنـةـ الصـادـقـةـ بـيـنـ أـرـجـاءـ الـمـعـمـورـةـ.. بـيـنـ أـشـجـارـ الـزـيـتونـ وـعـبـقـ الـرـيـاحـينـ وـالـيـاسـمـينـ، فـاـصـمـدـ يـاـ أـخـيـ صـمـودـ الـجـبـالـ، وـاـثـبـتـ ثـبـوتـ الـأـبـطـالـ فـأـنـتـ صـاحـبـ مـوـقـفـ لـاـ يـثـنـيـكـ عـنـهـ مـوـتـ أـوـ نـفـيـ أـوـ اـعـتـقـالـ.

وـاعـلـمـ أـنـ أـرـضـ اللهـ لـيـسـ بـضـيـقةـ فـاـصـبـ وـتـوـكـلـ عـلـىـ مـوـلـاـكـ {لـلـذـيـنـ أـحـسـنـواـ فـيـ هـذـهـ الـدـنـيـاـ حـسـنـةـ وـأـرـضـ اللهـ وـاسـعـةـ إـنـمـاـ يـوـقـيـ الصـابـرـوـنـ أـجـرـهـمـ بـغـيـرـ حـسـابـ} [الزـمـرـ : 10] .

وـبـادـرـ بـالـطـاعـةـ وـتـقـرـبـ لـهـ أـيـنـمـاـ كـنـتـ وـأـيـنـمـاـ حـلـلـتـ فـأـفـضـلـ الـأـرـضـ فـيـ حـقـ كـلـ إـنـسـانـ أـرـضـ يـكـونـ فـيـهـ أـطـوـعـ لـهـ

رسوله، وهذا يختلف باختلاف الأحوال، ولا تعين أرض يكون مقامُ الإنسان فيها أفضلَ وإنما يكون الأفضلُ في حق كل إنسان بحسب التقوى والطاعة والخشوع والحضور، وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان: هل إلى الأرض المقدسة! فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدس أحداً، وإنما يقدس العبد عمله، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بين سلمان وأبي الدرداء، وكان سلمان أفقه من أبي الدرداء في أشياء من جملتها هذا" (ابن تيمية)

وأكثر من الصيام والقيام والذكر والاستغفار وأملاً وقتك بما يرضي الرحمن وابتعد عن القيل والقال وابتعد عن الغيبة والنميمة والكلام البذىء.

وللأسف سمعت بعضهم يحكى عن أناس في المخيمات أنهم يشتمون ويتصاربون ويسبون الله والعياذ بالله، ويغتابون ويسعون في الفتنة، بدل أن ينكسروا ويتصارعوا ويختبوا لرب العالمين ليكشف كربتهم ويزيل محتتهم.

سادساً: التعاون والتكافل مع إخوانك داخل المخيم وفي الحارة التي تسكن فيها ، فتعاون معهم وخلق الناس بخلق حسن فهو من أحب الأعمال لله، فتعين ذا الحاجة وتغيث الملهوف، وتحنون على اليتيم وتمسح على رأسه ، وتساعد الثكلى والأرملة ، وتحتفظ الألم عن المفجوعة بزوجها ووالدتها وأخيها، وتكفف الدمع عن العجوز، وتقدم كل ما تستطيعه من عون لعل الله يرحمك، وتكون عضواً فعالاً تخدم أمتك، وتقوم بالتنظيم والترتيب إن احتج إليك، وتمر على أصحابك وجيرانك وتتفقد أحوال الضعفاء والمساكين والمحاجين فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، وأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلي من أن اعتكف في هذا المسجد شهراً ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيمة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزول الأقدام وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل).

ومن أهم ما تتعاونون عليه هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكن يا أخي الكريم داعياً إلى الله بين إخوانك النازحين، فالدال على الخير كفاعله، ولك بكل كلمة طيبة صدقة، ولأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من حُمر النعم، فكن من أهل الخير الدالين عليه، والناهين عن المنكر.

سابعاً: رسالة أخيرة أوجهها إلى الأخوة المسلمين في كل مكان، إلى من ينعم بالدفء والأمان إلى من يأكل ويشرب وينام ويتلذذ بما أنعم الله عليه من المباحثات، تذكروا أن لكم إخواناً: قل عندهم الطعام والشراب ، ونزل بهم البرد والثلج فأقض مضاجعهم، لا يهنوّن بنوم ولا بطعم، فواسوهم بأموالكم وارفعوا أكف الضراعة لمولاكم عسى الله أن يخفف عنهم، يا من لا يستطيع الجهاد بنفسه فهذا باب الجهاد بالمال مفتوح فالبدار البدار والمسارعة المسارعة فمدوا أيديكم وشمروا عن سواعدكم لمساعدة إخوانكم، وتذكروا قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكي عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى).

وفي رواية "مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعضه وشبك أصابعه).

وأخيراً: أذركم إليها المسلمين بقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيِّنِكُمُ الَّذِي يَأْعُطُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (111) [التوبة : 111] وبقوله سبحانه: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (15) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا أَسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفَقُوا خَيْرًا لِأَنفُسِكُمْ وَمَنْ يُوَقَّ شُحًّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (16) إن تُقْرِضُوا

اللَّهُ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (17) عَالِمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) [التغابن : 15]

{18}

أخي الحبيب النازح:

لا تحزن ولا تيأس ولا تظن أنك وحيداً في محنتك فكثير من المسلمين يفكرون في أمرك ويساركونك أحزانك وآلامك، ويسعون لتحقيق آمالك، ويدعون لك ويسعون لحل أزمتك، فتوكل على الله وثق به واعلم أن رحمة الله قريب من المحسنين..

للهم أعن إخواننا النازحين والمضطهدین واحفظهم وأطعم جائعهم واسف مرضاهم وعافي مبتلاهم وداوي جراحهم، وأرجعهم إلى بلادهم سالمين آمنين منصورين ، وعوضهم خيراً مما أخذ منهم، وضاعف حسناتهم وعظم أجراهم واجزهم بلا حساب ... آمين

المصادر: